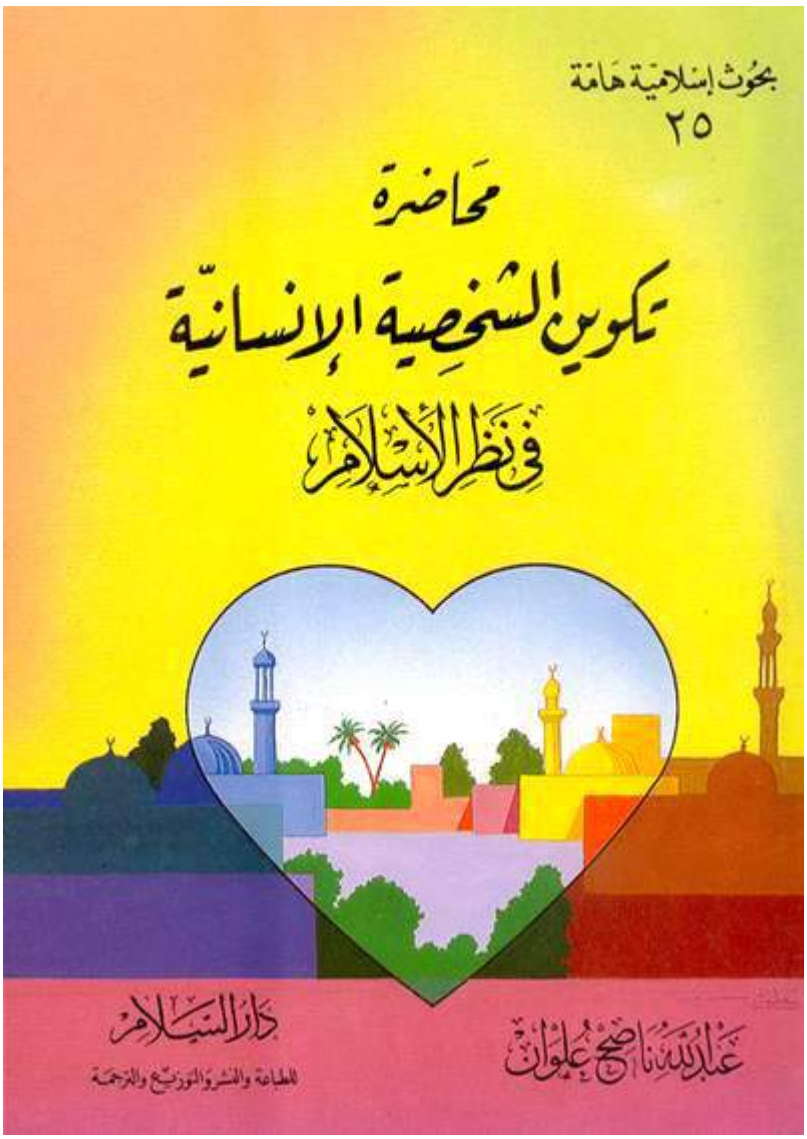

الإصدار الأول

www.abdullahelwan.net

فهرس

الموضوع	الصفحة
١- الرد على من يزعم أن الأخلاق لا تتغير	٤
٢- عوامل التكوين للإنسان	٧
أ- التكوين في إصلاح ذاته	
ب- التكوين في إصلاح غيره	
٣- عامل التكوين في إصلاح ذاته	٨
٤- لماذا يندفع المؤمن إلى تطبيق منهج الله ؟	٩
٥- أمثلة نموذجية لمجتمع يدين بالعقيدة	١١
٦- الذي يتصف بضعف العقيدة أو الإلحاد ماذا يكون	١٦
٧- عامل التكوين في إصلاح غيره	٢٠
٨- النصوص التي تدفع المسلم إلى الجهر بالحق	٢٠
٩- بحث الصبر والمصابرة	٢٤
• أمثلة عن الصبر والمصابرة في الجهاد	
١٠- من هو صاحب الشخصية	٣٦

محاضرة تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من دعا بدعوته ، واهتدى بهديه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فيا أيها الإخوة الأكارم :

موضوع محاضرتي الليلة : " **تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام** " [1] .

وقد اخترت هذا الموضوع على غيره من المواضيع لسببين :

الأول :

حتى يعلم من يريد أن يعلم أن للإسلام نظرته الشاملة في تكوين الشخصية الإنسانية وبنائها المتكامل .

الثاني :

حتى يندفع شبابنا نحو هذا التكوين على هدىً وبصيرة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

---

[1] ألقيت هذه المحاضرة على جمع كبير من الشباب المثقف في حلب في مسجد عمر بن عبد العزيز مساء الثلاثاء الموافق ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ . وقد رغب إليَّ بعض المخلصين أن أطبعها لتحصل المنفعة ، وتعم الفائدة .. فبناءً على طلبهم قدمتها للطبع بعد أن نقحتُها وزدت فيها .
فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلها في صحائف أعمالي المقبولة يوم العرض عليه ، إنه بالإجابة جدير .

ولكن - أيها الإخوة - قبل أن أتكلم عن عوامل التكوين للشخصية الإنسانية في نظر الإسلام يحسن أن أرد على شبهة أثارها بعض الفلاسفة الأخلاقيين الأجانب وأشهرهم " شوبنهار " الفيلسوف الألماني و " سبينوزا " الفيلسوف الهندي ، و " ليفي بريل " الفيلسوف الفرنسي .

هذه الشبهة تنحصر فى أن الناس يولدون أخيارًا ، أو شرارًا كما يولد الحَمَلُ وديعًا، والنمر مفترسًا ، وأنه لا يمكن تغيير الشر الكامن في الإنسان ، كما أنه لا يمكن تغيير الخير المتأصل فيه ! . .

هذه الشبهة في الحقيقة منقوضة شرعًا ، ومنقوضة عقلًا ، ومنقوضة واقعًا وتجربة .

أما إنها منقوضة شرعًا :

فلقوله تعالى : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ .

أي طريق الخير وطريق الشرّ .

- ﴿ **ونفسٍ وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ [الشمس : ٩ ، ١٠] .

- ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإمّا كفورا** ﴾ [الإنسان : ٣] .

ولقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه البخاري - : " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجّسانه " .

أما أنها منقوضة عقلًا :

فلأن اللّه سبحانه أنزل الكتب ، وأرسل الرسل من أجل ماذا ؟ ولماذا تهتم الحكومات في وضع المناهج والقوانين وتشرف على تأسيس المدارس والمعاهد والجامعات ؟ ولماذا تقوم على تعيين المعلمين والمختصين من علماء التربية والأخلاق والاجتماع ؟

أليس ذلك من أجل التعليم والتأديب والتخليق وتقويم الاعوجاج ؟

أليس من أجل أن يكون الإنسان مستقيما متوزانًا صالحًا في الحياة ؟

أليس من أجل أن يكون الإنسان كفؤًا كريمًا قويًا مشارًا إليه بالبنان ؟

أما أنها منقوضة واقعًا وتجربًة : فللأمور التالية :

(أ) من الملاحظ في عالم الإنسان أن إنسانًا ما عاش طويلاً في بيئة الضلال والفساد، وبلغ فيه الإجرام والشقاء كل مبلغ ، وقد أذاق المجتمع من وبال شروره ، وويلات شقائه . . وإذ برفيق صالح ، أو مربّ مؤثر ، أو داعية مخلص . . نقله من وهدة الشقاء إلى روضة السعادة ، وانتشله من بيئة الفجار إلىبيئة الأخيار ! ! . وهذا كثير جداً في عالم الواقع .

(ب) ومن الملاحظ في " عالم الحيوان " أن الإنسان وفّق في كل عصوره إلى نقل طباع الحيوان من النفور إلى الإلف ، ومن الصعوبة والحزونة إلى السلاسة والانقياد . . حتى إن الإنسان ليرقّص الخيل ، ويلاعب الطير ، ويعلّم الجوارح . . فإذا كان هذا هو الشأن في غرائز العجماوات فكيف بالغرائز الإنسانية التي أثبت " علم النفس المقارن " أنها أسلس قيادًا ، وأعظم مرونةً بسبب قبولها للمزج والتعديل والتقويم .

(جـ) ومن الملاحظ في " عالم النبات " أن البذرة حين يضعها الزارع في أرضٍ خصيبةٍ ، ويتعهدها بالماء والسماد ، ويحميها من الحشرات والطفيليات . . ثم لا يزال يلاحقها في تهذيب أشواكها ، وتقويم أغصانها . . فإن هذه البذرة تؤتي أُكُلَها كلّ حين بإذن ربّها ، ويقطف الإنسان من ثمارها ، ويتفيأ ظلالها ، ويستغلّ خيراتها على مدى الزمان والأيام .

فكذلك النفس الإنسانية وما فيها من قابليات واستعدادات ، وسجايا وجبلّات : حينما تتعهدها بالأخلاق ، وتمدها بالعلوم ، وترفدها بالعمل الصالح فإنها تنشأ على الخير ، وتدرُج على الكمال . . أما إذا أهملها وتركها للأيام حتى علاها صدأ الجهل ، وغشيها عدوى خلطاء السوء ، وتراكم عليها أنقاض العادات الذميمة فإنها – ولاشك– تنشأ على الشر والفساد والإباحية .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن دعوى الذين يقولون إن الطباع الإنسانية من شر أو خير لا يمكن تغييرها ولا تعديلها هي في الحقيقة دعوى باطلة ينقضها الشرع ، ويردها العقل ، وتكذبها التجربة والمشاهدة ، ويبطلها الجمهرة الكبرى من علماء النفس والتربية والأخلاق في العالم ، بل اعتبروا آراء " شوبنهار " و" سبينوزا " و" ليفي بريلي " من شذوذ الأقاويل والآراء ! ! .

ونجتزئ في هذا المجال بعض ما قاله الإمام الغزالي في إحيائه في الرد على من يزعم أنه لا يمكن تغيير الخير أو الشر الكامن في الإنسان .

يقول رحمه اللّه : " والصبيّ أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وإن عوّد الشر وأُهمل إهمال البهائم ، شقي وهلك، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق . . "

– ٢ –

بعد أن عرفنا – أيها الإخوة – أن في النفس الإنسانية من القابلية ما يمكن أن يتبدل الشر الكامن فيها إلى خير ، والدنس إلى تزكية ، والفساد إلى صلاح . . أشرع – بعد هذا البيان – في سرد العوامل في تكوين الشخصية الإنسانية من وجهة نظر الإسلام ، لتعلموا كيف أن الإسلام وضع المبادئ والأصول في إيجاد الإنسان الصالح المتوازن المتكامل ليكون قدوة المجتمع ، وأنموذج الحياة . . في صلاحه وتوازنه وتكامله ! ! .

أيها الإخوة الشباب :

من ميزة هذا الإسلام العظيم أنه انطلق في التكوين الاجتماعي من نقطة تكوين الفرد ذاته ، واعتبر هذا التكوين هو المبدأ الطبيعي المنطقي السليم لكل تكوين وإصلاح. . سواء أكان هذا التكوين والإصلاح أخلاقيًا أم كان اجتماعيا أم كان سياسيا أم كان اقتصاديًا ؟ . . .

ولكن ما هي عوامل هذا التكوين للإنسان ؟

العوامل – أيها الإخوة – تتركز في نقطتين هامتين :

الأولى : عامل التكوين في إصلاح الإنسان لذاته .

الثانية : عامل التكوين في إصلاح الإنسان لغيره .

والقرآن الكريم – أيها الشباب – قد حدد لنا معالم تكوين الإنسان في إصلاح ذاته ، ومعالم تكوين الإنسان في إصلاح غيره في سورة صغيرة ذات ثلاث آيات تمثل فيها المنهج الكامل في بناء الشخصية الإنسانية وإصلاحها كما يريدها الإسلام ، وما عداه من نظم ومناهج فهو ضياع وخسار . .

هذه السورة الصغيرة هي سورة العصر ، قال تعالى : ﴿ **والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ .

يقسم الله سبحانه بالعصر الذي بعث الله فيه نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن جنس الإنسان لفي ضياع وخسران وضلال وانحراف . . إلا من تحقق منهم :

- **الإيمان بالله .**
- **والعمل الصالح .**
- **والتواصي بالحق .**
- **والتواصي بالصبر .**

فعامل التكوين للإنسان في إصلاح ذاته كما حددت معالمه سورة العصر : هو الإيمان بالله مقروناً بالعمل الصالح .

ولكن ما معنى الإيمان باللّه وما معنى العمل الصالح ؟

أما معنى الإيمان باللّه :

فهو ترسيخ العقيدة الربانية وما اشتملت عليه في أعماق النفس الإنسانية .

وأما معنى العمل الصالح :

فهو مطالبة النفس الإنسانية – بعد ترسيخ العقيدة – باتباع المنهج الرباني الذي أنزله سبحانه على قلب نبيه عليه الصلاة والسلام ليكون للعالمين رحمة ونورًا وسراجًا منيرًا . .

ومن المعلوم – أيها الأخوة – أن العقيدة الربانية إذا ترسخت في النفس الإنسانية ولّدت الشعور بالمراقبة وولّدت الشعور بالمسؤولية . .

هذا الشعور الانبعاثي الذاتي هو الذي يدفع النفس الإنسانية إلى أن تحاسب نفسها قبل أن يحاسبها غيرها : وهذا من شأنه أن يقوي الإرادةُ الذاتية لدى الفرد المؤمن ، فلا يكون أسيرًا لشهواته ، ولا عبدًا لأطماعه وأهوائه ، بل ينضبط بحساسية التقوى ، ووازع الإيمان . . بل يندفع إلى إتقان العمل وتحسينه محتسبًا التماس الأجر والثواب من اللّه وحده .

ومن المعلوم أيضًا – أيها الشباب – أن استقرار العقيدة الربانية في أعماق النفس الإنسانية يجعلها تتحرر من الخوف والجبن ، بل يجعلها عزيزة كريمة فلا تذلّ لأحد ، تقف أمام كل قوى الأرض لا ترهب سلطانًا ، ولا تستخذي أمام صولة الملك، وإغراء المال ، هذه العقيدة ترفع أصحابها من أوحال الأرض ، ومستنقع الطين، فيقف في المرتقى السامي ينظر إلى الأرض من علٍ مع التواضع ، وبالعزة مع المحبة والتطامن دون استطالة ولا بغي على الناس ، يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعه اللّه إليه .

ومن المؤكد – أيها الإخوة – أن العمل الصالح ، واتباع المنهج الرباني ، وتنفيذ أوامر الله عز وجل هو أول ما يحرص عليه المؤمن الذي ذاق في قلبه طعم الإيمان . .

لأن العمل الصالح واتباع المنهج الرباني هو الثمرة الطبيعية للإيمان ، بل هو الحركة الذاتية والعمل الإيجابي للإنسان . .

وما ذاك إلا لاستقرار الإيمان في قلبه ، وترسيخه في أعماق نفسه . .

والمؤمن – أيها الأحباب – حين يندفع إلى تطبيق المنهج الرباني على نفسه يندفع عن رغبة وصدق ، وإخلاص وطواعية . .

لأنه يعلم علمًا أكيدًا أن اللّه سبحانه هو الذي خلق الكون والحياة والإنسان . . فله أن يتصرف في سؤون خلقه كما يريد وكما يشاء ، وليس للإنسان إلا أن يمتثل ما اختاره اللّه له دون تردد .

﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون** ﴾ [القصص : ٦٨] .

﴿ **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيّرة من أمرهم** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

* ويعلم علمًا أكيدًا أن الله سبحانه عليم بكل شيء فهو أعلم بما يشرع لعباده من أحكام ، وأدرى بما يحقق لهم من مصالح . .

﴿ **أأنتم أعلم أم الله** ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

* ويعلم علمًا أكيدا أن اللّه سبحانه حكيم في كل ما يخلقه ، وحكمته معناها أن يضع كل شيء في موضعه المناسب بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق المصالح ، ودرء المفاسد . .

﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ [الأنفال : ٧١] .

﴿ **إن ربك عليم حكيم** ﴾ [يوسف : ٦] .

﴿ **إنه عزيز حكيم** ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

* ويعلم علمًا أكيدًا أن الإنسان – مهما كان شأنه – عاجز عن التشريع لنفسه ، لكون علمه محدودًا مهما نضج علمه ، وسمت ثقافته . .

ولكونه يتأثر بالبيئة ، ويتأثر بالعاطفة ، ويتأثر بالهوى ، ويتأثر بالمبدأ الذي يعتنقه ، ويتأثر بالنزعة التي تخالجه . .

ولأضرب على ذلك الأمثال :

هذا الإنسان الذي وضع لأمة ما دستورها ومنهجها . . يأتي من هو أعلم منه فينقض له كل ما شرعه من نظم ، وما قنّنه من قوانين . .

وهذا الإنسان المتأثر بفكر لينين وكارل ماركس حينما يريد أن يضع لأمة دستورها يضع هذا الدستور متفقًا مع الفكر الماركسي الشيوعي .

وهذا الإنسان المتأثر بالفكر الرأسمالي حينما يريد أن يضع لأمة تشريعها يضع هذا التشريع متفقًا مع الفكر الرأسمالي الغربي .

وهذا الإنسان المتأثر بالنزعة الإباحية يضع القوانين للأمة متفقة مع نزعته الإباحية .

وهذا الإنسان المتأثر بالنزعة التسلطية الفردية يضع القوانين للأمة متفقة مع نزعته التسلطية الفردية . .

والواقع الدولي ، والصراع الاجتماعي ، والتناقض الفكري . . الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية اليوم أكبر شاهد على ما نقول ، وأعظم برهان على أن الإنسان يتأثر بالنزعة والهوى والبيئة والمبدأ ، وأن عقله مهما سما قاصر ، وأن علمه مهما اتسع محدود ، وأنه عاجز عن وضع التشريع لنفسه مهما بلغ درجة النضج والكمال . .

لهذا كله – أيها الإخوة – نجد أن المؤمن يندفع بكليته ، وينطلق من ذاته إلى تطبيق المنهج الرباني لكونه يعتقد من قرارة وجدانه أن كمال شخصيته ، وبناء إنسانيته هو اتباع من اختُصّ بالكمال ، وتنزّه عن النقص ، وعُرف بالعظمة ، وهو اللّه وحده .

وصدق اللّه العظيم القائل : ﴿ **فمن اتبع هداي فلايضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا** ﴾ [طه : ١٢٤] .

﴿ **أفغير الله أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلًا** ﴾ [الأنعام : ١١٤] .

﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقِنونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠] .

– ٥ –

وإليكم – أيها الشباب – الأمثلة النموذجية والتطبيقية لمجتمع يدين أفراده بالعقيدة الربانية ، ويتبع أبناؤه المنهج الرباني الذي رسمه اللّه لعباده . .

لتعرفوا جليًا واضحًا ارتباط الإيمان بالعمل ، أوبعبارة أدق : ارتباط العقيدة الربانية بالحياة :

(أ) لما نزلت :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] . لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد ينادي في نوادي المدينة : " ألا أيها القوم إن الخمر قد حرّمت " . . فمن كان في يده كأس حطّمها ، ومن كان في فمه جرعة مجّها ، وشُقّت زقاق الخمر ، وكسرت قنانيه . . ونادى الجميع : انتهينا ربنا، انتهينا ربنا ، وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر ! !. وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، فإنه يصنع الأعاجيب ! ! .

كانت فتنة بين استشعار المؤمنين الانتهاء عما نهى الله ، وبين الدافع إلى خطوط النفس وشهواتها . . فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان ! . .

أين هذا – أيها الإخوة – من أمريكا حين حاولت أن تحرم الخمر ، واستعملت جميع الوسائل الإعلامية الحاضرة كالمجلات ، والجرائد ، والمحاضرات ، والصور ، والسينما . لبيان أخطارها ومضارّها وأنفقت ما يزيد على ٦٠ مليون دولارًا ضدها، وطبعت حوالي عشرة بلايين صفحة ، وتحملت لتنفيذ القانون حوالي ٢٥٠ مليون جنيه ، وأعدمت ثلاثمائة نفس ، وسجنت ما يزيد على نصف مليون ، وصادرت من الممتلكات بحوالي أربعمائة مليون وأربعة بلايين جنيه ! ! ومع هذا لم يزد الشعب الأمريكي إلا معاقرة للخمر ، وتعلقًا بها ، مما اضطر الحكومة إلى إباحتها سنة ١٩٣٣ م .

(ب) هذه امرأة في عصر الفاروق رضي اللّه عنه يغيب عنها زوجها فترة طويلة من الزمن ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ، وتهجم عليها هواجس الوحدة ، ويثور في عرقها دم الأنوثة ، وينطق فيها صوت الغريزة ، فلا يصدها إلا حاجز الإيمان . .

وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي اللّه عنه تُنشِد :

لقد طال هذا الليل واسودّ جانبه وأرّقني ألاّ خليل ألاعبه

فواللّه لولا اللّه تخشى عواقبه لحرّك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم الثاني دخل عمر إلى ابنته حفصة وقال لها : كم تصبر الزوجة على زوجها ؟ قالت : أربعة أشهر ! ! .

فأرسل الخليفة العادل إلى قواده في جبهات القتال يأمرهم ألا يحبسوا جنديًا عن أهله أكثر من أربعة أشهر .

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله ، وبين الدافع إلى الإثم والفاحشة ، فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان ! ! .

(جـ) قال عبد اللّه بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه إلى مكة فعرّسنا في بعض الطريق ، فانحدر بنا راعٍ من الجبل ، فقال له : يا راعي ، بعض شاة من هذا الغنم .

فقال : إني مملوك .

فقال له – اختبارًا – : قل لسيدك أكلها الذئب .

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضي اللّه عنه ، ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه ، وأعتقه ، وقال : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة !! .

"كانت فتنة بين استشعار العبد المملوك مراقبة اللّه ، وبين الدافع إلى كسب المال الحرام، فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان ! .

(د) وفي عهد عمر رضي اللّه عنه أصاب الناس قحط وشدة ، وكانت قافلة من الشام مكوّنة من ألف جمل محمّلة بأصناف الطعام واللباس . . قد حلّت لعثمان رضي اللّه عنه في أرض المدينة فتزاكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة .

فقال لهم : كم تعطوني ربحًا ؟

قالوا : خمسة في المائة .

قال : إني وجدت من يعطيني أكثر .

فقالوا : ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟

فقال لهم عثمان : إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، إني وجدت اللّه سبحانه يقول :

﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

هل عندكم يا معشر التجار زيادة ؟

وإني أشهدكم – يا معشر التجار – أن القافلة وما فيها من بُرّ ، ودقيق ، وزيت ، وسمن ، ولباس . . . قد وهبتها لفقراء المدينة ، وأنها صدقة على المسلمين !! .

كانت فتنة بين استشعار عثمان رضي اللّه عنه حاجة المسلمين إلى التكافل والتعاون ، وبين الدافع إلى الربح العظيم في أزمة القحط الخانقة ، فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان ! .

(هـ) **قال عبد الله بن طاهر :** كنت عند المأمون يومًا ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيًا وصاح : يا غلام ، فدخل غلام تركي وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ، كلما خرجنا من عندك : تصيح يا غلام ، يا غلام . . إلى كم يا غلام ؟

فنكّس المأمون رأسه طويلًا – فما شككت في أن يأمرني بعقوبة تأديبية مناسبة له – ثم نظر إليَّ ، فقال : ياعبد اللّه ، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسّن أخلاق خدمنا !! . فعفا عنه ولم يمسّه بسوء .

كانت فتنة بين استشعار المأمون خلق السماحة والعفو ، وبين الدافع إلى التنكيل والزجر في ملابسة سوء الأدب بحضرة الخليفة ، فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان !! .

(و) استعصى على مسلمة بن عبد الملك فتح حصن من الحصون ، فنظر طويلًا في الحصن فوجد نَقْبًا (فتحة يمكن الدخول منها) ، فندب الناس للدخول فيه . . فخرج رجل من عُرض الجيش ، وتسوّر النَّقْب ثم دخل فيه ، وفتح اللّه على يديه الحصن .

فأراد مسلمة أن يعرف من صاحب النّقب ، فأمر أن ينادى بالناس ويقول : إن الأمير يعزم على صاحب النقب أن يدخل عليه ليكافئه على فعله .

فخرج من عُرض الجيش رجل ملثّم غير معروف ، ووقف عند باب القيادة وأراد الاستئذان على الأمير .

قال له الحاجب : أنت صاحب النقب ؟

قال : أنا أخبركم به .

ولما امتثل بين يدي مسلمة قال له : أيها الأمير : إن صاحب النقب يشترط عليكم ثلاثة شروط حتى يعرّفكم بنفسه .

قال مسلمة : له ذلك .

قال ألّا تسألوه عن اسمه واسم أبيه .

ألّا تسوّدوا اسمه للخليفة .

ألّا تأمروا له بعطاء .

ثم كشف الرجل عن وجهه وقال : أنا صاحب النّقب فبكى مسلمة لإخلاص الرجل ، وكان كلما صلى دعا اللّه عز وجل وقال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب، اللهم احشرني مع صاحب النقب .

كانت فتنة بين استشعار صاحب النقب حقيقة الإخلاص لله ، وبين الدافع إلى حب الثناء ، والمكافأة ، والذكر الحسن فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان ! ! .

(ز) روى القرطبي في تفسيره عن العدوي حين قال : " انطَلَقْتُ يوم اليرموك أطلب ابن عم لي – ومعي شيء من الماء – وأنا أقول : إن كان به رَمَقٌ سقيتهُ ، فإذا أنا به ، فقُلْتُ أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا برجل يقول : آه . . آه ! . . فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن : نعم ، فسمع آخر يقول : آه . . آه ! فأشار هشام أن انطلق إليه فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات " ، ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه .

كانت فتنة بين استشعار من أسعف بالماء حقيقة الأخوة والإيثار ، وبين الدافع إلى حب الأنا والذات ، فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان ! .

إلى غير ذلك من هذه الأمثلة التاريخية الرائعة التي تدلل بشكل لا يقبل المراء والجدل أن الأمة التي توجهها العقيدة ويربيّها الإسلام هي الأمة التي أخرجها الله إلى الناس لتكون للأجيال قدوة ، وللإنسانية منارات إشراق وهدىً .

وهكذا العقيدة الربانية ، إذا ترسخت في النفوس فإنها تصنع العجائب ، وتصوغ الرجال وتظهر الأبطال ، وتربط أفراد الأمة بالعمل الصالح ، وفضائل الحياة ! ! .

- ٦ -

وإذا كان الالتزام للمنهج الرباني مقترنا بالإيمان ، ومرتبطًا بالعقيدة الربانية . . فالذي ضعفت عقيدته باللّه ماذا يكون ؟

نراه إنسانًا منحرفا عن شريعة اللّه ، منجرفًا في التقليد الأعمى ، منساقًا في ركاب التبعية الجهلاء . .

نراه إنسانًا منقادًا لنزواته الغريزية وشهواته الحيوانية ومتخبطًا في متاهات التحلل والإباحية . .

نراه إنسانًا متّصفًا بالغش ، والخداع ، والكذب ، والخيانة . . في ميدان التعامل المالي، والتبادل التجاري .

نراه إنسانًا متحلّيًا بأقبح العادات النفسية والخلقية من بخلٍ ، وجُبْنٍ ، وأَثَرَةٍ ، وأنانية . . في محيط المجتمع ، والتعامل مع الناس . .

ومن هنا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم واضحًا في مواصفات المسلم الحق ، وخصائص المؤمن الصادق حين قال : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى اللّه عنه " [١] .

ومن هنا كان موقف عمر رضي اللّه عنه حكيمًا ، ونظرته سديدة في كشفه عن حقيقة الأشخاص حينما جاءه رجل يشهد لرجل آخر بأنه عدل ومستقيم . .

قال عمر : أتعرف هذا الرجل ؟

فأجاب : نعم .

قال عمر : هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟

---

[١] رواه النسائي .

فأجاب الرجل : لا .

قال عمر : هل صاحَبْتَه في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق ؟

فأجاب الرجل : لا .

قال عمر : هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل ؟

فأجاب الرجل : لا .

فصاح به عمر قائلًا : لعلك رأيته قائما قاعدًا يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ، ويخفضه أخرى ، فرد الرجل : نعم ! ! .

فقال له عمر : اذهب فإنك لا تعرفه ، والتفت إلى الرجل ، وقال له : إئتني بمن يعرفك . فعمر رضي اللّه عنه لم ينخدع بمظهر الصلاح ، شكلية العبادة ، وإنما عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حال الرجل ، ودلّلت على سلوكيته وأخلاقه . .

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم – : " إن اللّه لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما إلى قلوبكم وأعمالكم " .

فكم من إنسان ذي مظهر في الصلاح والإسلام والتقوى . . ولكن في الحقيقة ونفس الأمر ثعلب خدّاع وذئب غدار ، ونمر مفترس ، وإنسان منحرف عن منهج اللّه . . !

أما الذي اتصف بالالحاد ، وسلخ عن نفسه العقيدة الربانية ، وحاد كليًا عن شريعة الله سبحانه فماذا يكون ؟

يكون ممن أفسدوا ضمائرهم النقية ، وفطرهم السليمة . .

يكون ممن أماتوا في أعماق نفوسهم الوازع الديني والشعور بالمسؤولية . .

يكون ممن هدم في إنسانيته كل المُثل الأخلاقية والفضائل الإنسانية التي جاءت بها الأديان والشرائع . .

يكون ممن انقلبوا في هذه الحياة إلى أقل من الحيوان ، لا ضمير يؤنبه ، لا عقيدة ربانية تزجره، ولا دين يوجهه وينظمه . .

فمن المؤكد بعد هذا أن يستبيح لنفسه المحرمات ، ويمشي بكليته وراء النزوات والشهوات . .

فكيف يرتدع الملحد عن المحرمات وهو لا يؤمن بإله يعلم السر وأخفى ؟ .

وكيف يكف عن الشهوات وهو لا يؤمن بيوم الحساب ؟ .

وكيف يمتنع عن أكل حقوق الناس وهو لا يؤمن بجهنم أصلًا ؟ .

كيف يقوم بإتقان العمل والإخلاص له وهو لا يؤمن بالجنة أبدًا ؟

ولنستمع إلى ما يقوله الله سبحانه عن هذا الصنف من الناس : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ، وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين** ﴾ [الجاثية : ٢٣ – ٢٥] .

ولنستمع إلى ما يقوله سبحانه عن مصيرهم ومآلهم : ﴿ **إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير** ﴾ [فصلت : ٤٠] .

﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن عامل التكوين للإنسان في إصلاح ذاته هو أمران :

١ – الإيمان بالله .

٢ – العمل الصالح .

وإن شئت فقل : العقيدة الربانية ، ثم الاستقامة على شريعة الله تعالى .

وصدق اللّه العظيم القائل : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وثبت في الصحيح أن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك ، قال : " **قل آمنت بالله ثم استقم** " .

وسئل الفضيل بن عياض عن أحسن العمل في قوله تعالى : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملًا** ﴾ قال : أحسن العمل أخلصه وأصوبه .

قالوا : يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ .

قال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، لم يقبل العمل حتى يكون خالصًا صوابًا .

وقال : والخالص ما كان للّه ، والصواب ما كان على الشريعة ، ثم قرأ قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ .

وهذا العامل في تكوين النفس الإنسانية إذا تحقق به الإنسان صلحت نفسه ، وتزكّى قلبه ، وسمت روحه ، وعظمت أخلاقه ، واستقام سلوكه . . بل يكون بين الناس شمس إصلاح ، وقمر هداية ، وإشعاع خير يُشار إليه بالبنان . . تنطبق عليه مواصفات عباد الرحمن ، وخصائص الإنسانية الفاضلة :

قال تعالى في أواخر سورة الفرقان : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ، والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا ، إنها ساءت مستقرًا ومقامًا ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ، والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقَ أثامًا . . .** ﴾ .

– ٧ –

أما عامل التكوين للإنسان في إصلاح غيره فلا يتحقق إلا بتحويل النزعة الاجتماعية المتأصلة في الإنسان إلى ماهو خير الإنسانية وهدايتها وصلاحها . .

ومنهج الإسلام في الاعتراف بهذه النزعة وتحويلها يقوم على أمرين أساسيين :

الأول : دفع النفس الإنسانية على الجهر بالحق .

الثاني : تعويد هذه النفس على الصبر والمصابرة .

وهذا ما حدد القرآن معالمه في سورة العصر حين قال :

﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [١] .

– ٨ –

أما دفع النفس على الجهر بالحق :

فالقرآن الكريم قد قرره في أكثر من آية : ﴿ **الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله** ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد قرره في أكثر من حديث :

– روى مسلم عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الدين النصيحة " قالوا : لمن يا رسول اللّه ؟ قال : " للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

---

[١] أوصى بعضهم بعضًا بالتمسك بالحق ، والمجاهرة به ، والمقصود من الحق : الثبات على الايمان باللّه ، وكتبه، ورسله ، والعمل بشريعته في كل عقد وعمل ، وذلك هو الأمر الثابت الذي لا سبيل الى إنكاره .

– وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا . . " .

– وروى الشيخان عن عبادة بن الصامت قال : " بايعنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثَرةٍ علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللّه فيه بُرهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في اللّهلومة لائم " .

– وروى الترمذي عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عذابًا ثم تدعونه فلا يستجيب لكم " . .

من هذه النصوص يتبين أن النفس الإنسانية لا تكتمل شخصيتها ولا تؤدي رسالتها حتى تتجاوز هذه العزلة والانطوائية ، وتنطلق في ميادين العمل الدعوي ، والجهاد الحركي عسى أن تقوم بدورها في إصلاح المجتمع ، وبناء الدولة الفاضلة ، وتكوين الأمة المثلى ، وإنقاذ الإنسانية من ظلمات المادية والإباحية والإلحاد إلى نور الحق والروحانية ، ومبادئ التوحيد والأخلاق . .

ومن المعلوم أيها الإخوة : أن الإنسان الذي ينطوي على نفسه ، ويعتزل المجتمع ، ويبتعد عن الناس . . يكون معدوم الشخصية .

وأن الإنسان الذي يحوّل هذه النزعة الاجتماعية المفطور عليها إلى لهو وعبث ، وقيل وقال ، ويهدر وقته في اللغو والرفث ، والكلام الفارغ . . يكون معدوم الشخصية .

وأن الإنسان الذي لا يتحرك من أجل إصلاح غيره وإرادة الخير لمن حوله ، وهداية الناس . . يكون معدوم الشخصية .

وإن الإنسان الذي يجبُن عن مواقف الجرأة ، ويضعف في مجاهدة أهل الظلم والباطل ، وينهزم من ميادين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . يكون معدوم الشخصية .

وعلى المسلم أن يعلم أيها الشباب :

أن هذا الإسلام العظيم الذي يجاهر به ويدعو إليه ويجاهد في سبيله يتسم بالخصائص التالية :

- يتسم بالربانية لأنه تنزيل من حكيم حميد .
- ويتسم بالعالمية لأنه شريعة البشرية جمعاء .
- ويتسم بالشمول لأنه تنزّل لمناهج الحياة .
- ويتسم باليسر لأنه دين التيسير ودفع الحرج .
- ويتسم بالعطاء لأنه يفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان .
- ويتسم بالخلود لأنه يحمل في طبيعته بذور نمائه واستمراره إلى يوم الدين .

ومن هنا نعلم كيف كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يدفع أصحابه إلى الدعوة إلى اللّه ، والمجاهرة بالحق ، وإيصال هذا الإسلام العظيم إلى الناس . .

روى الشيخان من حديث ابن سهل الساعدي أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم اللّه وجهه لمّا وجهه إلى خيبر : " أنفُذْ على رسْلكَ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللّه تعالى ، فو اللّه لأن يهدي اللّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر [1] النَّعَم " .

ومن هنا كان نهيه صلى الله عليه وسلم عن العزلة زاجرًا ، وحضه على الجهاد من أجل إعلاء كلمة اللّه حارًّا . .

روى الترمذي والحاكم . . عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : مرّ رجل من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بشِعْبٍ فيه عُيَيْنَةٌ من ماء عَذْبَةٍ فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمتُ في هذا الشّعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال : " لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل اللّه تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين

---

[1] حمْر النَّعم : هي الإبل الحمراء ، وكان العرب يتفاخرون بها .

عامًا ، ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم ويُدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل اللّه ، من قاتل في سبيل اللّه فُواق ناقة (زمن ما بين الحلبتين) وجبت له الجنة " والنبي عليه الصلاة والسلام أكد لأصحابه في كثير من المواطن – كما روى الشيخان – أن من جملة السبع المهلكات للإنسان في دنياه وآخرته : "الفرار يوم الزحف " (أي : التخلي عن الجهاد من أجل إعلاء كلمة اللّه) .

ولمَّا فهم جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان هذه الحقائق انطلقوا في ميادين الدعوة والجهاد . . يهذبون النفوس ، وينشرون العلم ، ويفرضون المعرفة ، ويكرمون الإنسان، ويطمسون معالم الوثنية ، ويُشعّون على العالمين نور الحق والهداية والعرفان ، وينبتون الأرض خيرًا وعسلًا ولبنًا ، ويطبعون في ضمير الزمان مبادئ التوحيد والعدل والإخاء والمساواة . .

انطلقوا في مجاهل الأرض ليقولوا للطواغيت في كل مكان : " **إنما ابتعثنا اللّه لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام** " .

فإذا فهم جيل الإسلام اليوم – أيها الإخوة – هذه الحقائق مرة ثانية كما فهمها الرعيل الأول من قبلهم وأعقبوا هذا الفهم بالتضحية والجهاد ، وتحمل المسؤولية ، والخروج إلى الناس، وهداية البشرية إلى نور الحق والإسلام . . فعندئذ يخرج هذا الجيل من عزلته إلى الدنيا من جديد :

بأخلاقية الجدود البواسل الأمجاد . .

وبعزيمة القواد الأشاوس الأبطال . .

وبفتوح بدر والقادسية واليرموك وحطين . .

وبعزة عهود الخلفاء عبر التاريخ . .

وبدولة الإسلام الممتدة الأطراف الراسخة البناء . .

وبالحضارة الإسلامية الزاهرة التي ترفع من كرامة الإنسان . .

وما ذلك على اللّه بعزيز .

أما مغالبة النفس على الصبر والمصابرة فالقرآن الكريم قررها في أكثر من آية :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

﴿ **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ [لقمان : ١٧] .

﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر : ١٠] .

والرسول صلى الله عليه وسلم قررها في أكثر من حديث :

- روى القضاعي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي اللّه عنهما عنه صلى الله عليه وسلم : " انتظار الفرج بالصبر عبادة " .

- وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له " .

- وروى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو ، واسألوا اللّه العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " .

- وروى أحمد والترمذي بسند صحيح عنه صلى الله عليه وسلم : " المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " .

من هذه النصوص يتبين : أن النفس الإنسانية لاتكتمل شخصيتها ولا تؤدي رسالتها حتى تتحلى بخُلق الصبر والمصابرة ، وتنطلق في طريق المحنة والفتنة والابتلاء ماضية صابرة محتسبة . . وتمضي في

ميادين الجهاد والتضحية والعمل الحركي ثابتة واثقة مطمئنة . . تبقى على ذلك حتى يأذن اللّه لها بالنصر ، أو تخرج من الدنيا بعد أن أبرأت ذمتها وبذلت قصارى جهدها في الأخذ بأسباب العزة ، ووسائل العمل والجهاد . . فعندئذ تكون معذورة حينما تلقى ربها ليسألها عن حمل رسالة الإسلام في يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

ولكن – أيها الشباب – ما معنى الصبر وما معنى المصابرة ؟

الصبر معناه : قوة نفسية إيجابية فعالة تدفع صاحبها إلى مقاومة كل أسباب الخور والاستكانة والاستسلام . . وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات ، وأمام المحن والمكاره والأحداث . .

وأما معنى المصابرة : فهي مغالبة النفس الأمّارة بالصبر على شهواتها ، ومغالبة المحبة بالصبر على بلائها ، ومغالبة الأعداء بالصبر على مجاهدتهم ، والثبات على مقاومتهم فالإنسان الذي لا يستيطع أن يغالب نفسه أمام فتنة الجنس واثارة الشهوة يكون معدوم الشخصية . والإنسان الذي لا يستطيع أن يغالب نفسه أمام فتنة المال وفتنة الجاه يكون معدوم الشخصية .

– والإنسان الذي لا يستطيع أن يصبر على المصيبة والابتلاء في سبيل اللّه يكون معدوم الشخصية .

– والإنسان الذي لا يستطيع أن يصبر على مغالبة الأعداء في ميادين المعارك والجهاد يكون معدوم الشخصية .

– والإنسان الذي لا يستطيع أن يصدع بكلمة الحق ويرد على افتراءات أهل الباطل يكون معدوم الشخصية .

وعلى المسلم الحق أن يعلم : أن اللّه سبحانه خلقه من أجل تحقيق غاية العبودية للّه والانقياد له والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع . .

﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

– وخلقه لالتزام المنهج الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

﴿ **ومن يتبغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

– وخلقه ليعطي الولاء للّه ولرسوله وللمؤمنين :

﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ [المائدة:٥٥ – ٥٦] .

– وخلقه ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . .

﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

والقيام بهذه المهمات ، والاضطلاع بهذه المسؤوليات يتطلب من المؤمن صبرًا ومصابرة ، ويتطلب بذلًا وإنفاقا ، ويتطلب عملًا وتضحية ، ويتطلب مثابرة وجهادًا . .

هذا لا يتأتّى إلا أن تكون النفس الإنسانية المؤمنة قد توطّدت على الصبر ، وتخلّقت على المصابرة ، وتعمّق فيها معنى التضحية والثبات والجهاد . .

ومواقف الصحابة والسلف أكبر شاهد على تحلّي أمة الإيمان بالصبر والمصابرة في مواطن الجرأة بالحق ، وميادين الكفاح والجهاد . .

وإليكم بعض الأمثلة والشواهد :

(أ) روى زياد عن مالك بن أنس قال : بعث أبو جعفر المنصور إليَّ وإلى بن طاوس أحد أفاضل العلماء في عصره ، فدخلنا عليه فإذا هو جالس ، وبين يديه أنطاع [1] قد بسطت ، وجلادون بأيديهم

[1] جمع نطع ، وهو الجلد يوضع تحت المحكوم عليه بالقتل .

السيوف يضربون الأعناق ، فأومأ إلينا أن اجلسا فجلسنا ، فأطرق عنا قليلًا ، ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس ، فقال له: حدثني عن أبيك .

قال : نعم ، سمعتُ أبي يقول : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجَور في عَدله " .

قال مالك : فضممتُ ثيابي مخافة أن يملأني دمه .

فأمسك ساعة ، ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عظني يا ابن طاوس .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

يقول اللّه تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يُخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد** ﴾ [الفجر : ١ – ٥] .

قال مالك : فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه .

فأمسك ساعة ، ثم قال : يا ابن طاوس ، ناولني هذه الدواة ، فأمسك عنه ، ثم قال: ناولني هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال ابن طاوس : أخشى أن تكتب بها معصية ، فأكون شريكك فيها . فلما سمع ذلك ، قال أبو جعفر : قوما عني ، قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغي هذا اليوم ! ! .

قال مالك : فما زلتُ أعرف لابن طاوس فضله .

(ب) مما يرويه الإمام السبكي في طبقاته : إن خلافًا نشأ واشتد ، وأنذر بالكيد والحرب بين الأخوين : سلطان الشام (الصالح إسماعيل) ، وسلطان مصر (الصالح نجم الدين أيوب) .

وفي سنة ٥٣٨ هـ أوجس إسماعيل خيفة من نجم الدين أيوب ، فاستعان بالصليبيين أعداء الإسلام ، وتحالف معهم على قتال أخيه ، وأعطاهم مقابل ذلك مدينة (صيدا) و (قلعة الشقيف) وغيرهما من حصون المسلمين ، وأمعن إسماعيل في هذه الخيانة ، فسمح للصليبيين أن يدخلوا دمشق

ويشتروا منها السلاح وآلات الحرب . . وأثار هذا الصنيع المنكر استياء المسلمين وعلمائهم ، فهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام يستنكر الخيانة والخائنين ، وأفتى الناس بتحريم بيع السلاح للصليبيين لأنهم يقاتلون به المسلمين ، وصعد على منبر جامع الأموي بدمشق في يوم الجمعة ، وأعلن الفتوى ، وشدد في الإنكار على السلطان ، وفعلته المنكرة ، وخيانته الفظيعة للأمة الإسلامية . .

ومن العادة الدعاء للسلطان إسماعيل في آخر الخطبة ، فترك الدعاء له إيذانًا بنقض البيعة ، وزاد هذا الدعاء : " اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا ، تعزّ فيه وليّك ، وتذل فيه عدوّك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك " والناس يبتهلون بالدعاء والتأمين .

فغضب السلطان لذلك وعزله من القضاء وخطبة الجمعة . . وأمر باعتقاله ، وكان أنصار الشيخ العز بن عبد السلام قد أشاروا إليه بأن يغادر البلاد ، وينجو بنفسه من كيد السلطان ، وأعدوا له وسائل الهرب ، ولكنه رحمه اللّه أبى ذلك وألّحوا عليه فأصرّ على الإباء ، فعرضوا عليه أن يختبئ في مكان أمين لا يهتدي إليه السلطان ورجاله ، فرفض هذا العرض أيضًا وقال: " واللّه لا أهرب ولا أختبئ ، وإنما نحن في بداية الجهاد ، ولم نعمل شيئًا بعد ، ولقد وطّنت نفسي على احتمال ما ألقى في هذا السبيل ، واللّه لا يضيع عمل الصابرين " .

ولكن السلطان إسماعيل أفرج عنه بعد الاعتقال ، وأمره أن يلزم داره ، وأن لا يفتي، وأن لا يتصل به أحد من طلابه وإخوانه . .

وبعد هذه الإقامة الإجبارية أفرج عنه الملك إسماعيل بعد محاولات ومراجعات ، فأقام بدمشق ، ثم انْتُزِع إلى بيت المقدس . .

ثم جاء الملك إسماعيل ، والملك المنصور صاحب حمص ، وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس . . يقصدون الديار المصرية لمقاتلة نجم الدين أيوب . فسيّر الملك إسماعيل بعض خواصّه إلى الشيخ بمنديله ، وقال له : تدفع منديلي إلى الشيخ وتتلطف به غاية التلطف . . وتعِدُه بالعودة إلىمناصبه على أحسن حال . . فإن وافقك فتدخل به عليّ ، وإن خالفك فاعتقله ، واجعله

في خيمة إلى جانب خيمتي . . فلما اجتمع رسول السلطان بالشيخ شرع في مسايسته وملاينته . . ثم قال له : " إن السلطان عفا عنك ، وردّك إلى عملك على أن تنكسر له وتقبّل يده " ! ! .

فما كان من الشيخ إلا أن قال لرسول السلطان : " يا مسكين ! . . واللّه ما أرضاه أن يقبّل يدي فضلًا عن أن أقبّل يده ، يا قوم : أنتم في وادٍ ، وأنا في وادٍ ، والحمد للّه الذي عافاني مما ابتلاكم به " .

فقال الرسول : يا شيخ قد رُسِمَ لي أن يوافق على ما يُطلب منك ، وإلا اعتقلتكَ ، فقال الشيخ : افعلوا ما بدا لكم ، فأخذه واعتقله في خيمةٍ إلى جانب خيمة السلطان ! . وكان الشيخ يقرأ القرآن – في معتقله – والسلطان يسمعه ، فقال يومًا لملوك الفرنج تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن ؟

فقالوا : نعم .

قال : هذا أكبر قسوس المسلمين ، قد حبستُه لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ، ثم أخرجتُه ، فجاء إلى القدس ، وقد جدّدت حبسه واعتقاله لأجلكم ! ! .

فقال له ملوك الفرنج : " **لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها** " [1] .

ثم وقعت الحرب بين الأخوين ، وكانت الدولة والنصر للسلطان (نجم الدين أيوب) على رغم قلة جيشه في العَدَد والعُدَد بالنسبة لجيش الملك إسماعيل وحلفائه . . وتلك عاقبة الخائنين . . في كل وقت وحين .

وبذلك نجا الشيخ من أسر السلطان الخائن ، ووصل إلى مصر مكرّمًا معزّزاً ، وتولى فيها منصب قاضي القضاة .

ولكن هل أغراه المنصب الجديد ؟ هل صدّه عن أن يقول كلمة الحق ؟

هل حابى وساير ونافق ؟

اللهم لا . .

---

[1] تلك إجابة الفرنج إلى السلطان الخائن التي كانت سهمًا مسددًا إلى قلبه وإنكارًا لاذعًا لفعله ، والفضل ما شهدت به الأعداء !! .

وإليكم مواقفه بعد أن أصبح قاضي القضاة في مصر :

* قال مرة للسلطان " نجم الدين أيوب " ، وكان في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب ! . . ما حجتك عند الله ، إذا قال لك : ألم أُبوّئ لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟ فقال: هل جرى هذا ؟

فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور ، وتستباح فيها المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ؟! .

فقال : هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي !! .

فقال العز بن عبد السلام : أنت من الذين يقولون : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾ (طريقة) ﴿ **وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ [الزخرف : ١٣] .

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة وإغلاقها .

* كان لمماليك الأتراك نفوذ في الدولة الإسلامية في أواخر حكم العباسيين ، وامتد نفوذهم حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام حكم (نجم الدين أيوب) في مصر ، وكان الشيخ العز بن عبد السلام قاضيًا للقضاة فيها . . فنظر في قضية أولئك الأمراء المماليك، فثبت لديه أن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين وأنهم ليسوا أحرارًا . . فبلغهم ذلك ، فعظم الخطب عليهم واحتدم الجدَل في أمرهم . . والشيخ مصمّم على موقفه ، وأفتى أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا نكاح . . ما داموا مماليك للدولة لم يُعتقوا بعد .

واقترح الشيخ : أن يَعقِد لهم مجلسًا وينادي عليهم واحدًا بعد واحد في المزاد حتى إذا بيعوا انصرفت الأموال لصالح بيت مال المسلمين ، وعندئذ يحصل عتقهم بطريق شرعي !! .

فرفع الأمراء الأمر إلى السلطان (نجم الدين أيوب) فبعث إليه ورجاه أن يرجع عن موقفه ، فأصرّ ولم يتراجع ، فجَرتْ من السلطان كلمة فيها غلظة على الشيخ فغضب الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحمل حوائجه على حمار ، وأركب عائلته على حُمُر أخرى ، ومشى خلفهم من القاهرة قاصدًا بلاد الشام ، فلم يصل إلى نحو بضع أميال، حتى لحقه غالب المسلمين ، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه

له يتخلف ، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار . . فبلغ السلطان الخبر ، وقيل له : متى راح ذهب ملكُك ، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب خاطره . .

فرجع واتفقوا معهم على أن يُنادى على الأمراء ، فأرسل نائب السلطنة بالملاطفة فلم يستفد شيئًا ، فانزعج النائب المملوك وقال : كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ واللّه لأضربنه بسيفي ! ! . فركب بنفسه في جماعته ، وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده فطرق الباب ، فخرج ولد الشيخ ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى . . فعاد إلى أبيه وشرح له الحال ، فما اكترث لذلك ولا تغيَّر ! ! وقال :

" **يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله** " ، ثم خرج كأنه قضاء اللّه نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب يبست يده ، وسقط السيف منها ، وأُرعدت مفاصله ، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال : يا سيدي أي شيء تعلمه هو خير ؟

قال : أنادي عليكم وأبيعكم ! ! .

قال : ففيم تصرف ثمننا ؟

قال : في مصالح المسلمين .

قال : من يقبضه ؟

قال الشيخ : أنا .

فتم له ما أراد ، ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا ، وغالى في ثمنهم ، وقبضه ، وصرفه في وجوه الخير ، وهذا لم يسمع به أحد ، ولم يفعله أحد سوى الشيخ العز بن عبد السلام رحمه اللّه ورضي عنه .

(جـ) روى مسلم عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال : سمعتُ أبي وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف " فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعتَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال :

نعم ، فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتِل .

(د) وروى مسلم عن أنس قال : انطلق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر . . . فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض " فقال عُمَيْر بن الحمام : يا رسول اللّه جنة عرضها السموات والأرض ؟ .

قال : نعم ، قال : بخٍ ، بخٍ (كلمة استحسان) .

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " ما يحملك على قولك : بخٍ ، بخٍ ؟

فقال : لا واللّه يا رسول اللّه إلا رجاء أن أكون من أهلها .

قال : " فإنك من أهلها " .

فأخرج تمرات من قَرَنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : " إن أنا حييتُ حتى آكل تَمَراتي هذه ، إنها لحياة طويلة " ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتِل رضي اللّه عنه .

(هـ) بعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعثة إلى مؤته لقتال الروم ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد اللّه بن رواحة على الناس . . فتجهز الناس ، وهم ثلاثة آلاف ، ومضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، ومائة ألف أخرى من المستعربين ، فلما علم ذلك المسلمون أقاموا على معانٍ ليلتين يفكرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له .

فشجع عبد اللّه بن رواحة الناس وقال : " **يا قوم – واللّه – إن التي تكرهون للتي خرجتم ، خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا اللّه به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور ، وإما شهادة** " .

فقال الناس : قد – واللّه – صدق ابن رواحة .

فمضى الناس حتى إذا كانوا بقرية " مشارف " دنا العدو منهم ، وانحاز المسلمون إلى مؤته، ثم بدؤوا القتال ، فهجم زيد بن حارثة فقُتل ، ثم اقتحم جعفر الروم فقُتل ، ثم دعا الناس عبد اللّه بن رواحة ، فتقدم وهو يخاطب نفسه .

يا نفسُ إلا تُقْتَلي تموتي هذا حياض الموت قد صَليتِ

وما تمنّيتِ فقد لَقيتِ إن تفعلي فعلَهما هُديتِ

(يعني زيدًا وجعفرًا) .

ثم قال : يا نفسُ إلى أي شيء تتوقين ؟

إلى امرأتي ؟ فهي طالق ، إلى غلماني ؟ فهم أحرار ، إلى صحن حائط (بستان) ؟ فهو للّه ورسوله ، ثم أخذ اللواء ، واستقبل فقاتل برهة . . ثم عاد . . وأخذ يؤنّب نفسه على تردده كل التأنيب ، فعاد يقول :

يا نفسُ مالك تكرهين الجنّهْ أُقسِمُ باللّه لتَنزِلنّهْ

طائعةً أو لتُكْرِهنّهْ فطالما كنتِ مطمئنّهْ

هل أنت إلا نُطْفَةٌ في شَنّهْ [1] قد أجلَبَ الناس وشدوا الرنّهْ [2]

فلما نزل للقتال طُعِن فاستقبل الدم بيده ، فدلك به وجهه ، ثم صُرِع بين الصفين حتى قتل شهيدًا رضي اللّه عنه .

---

[1] شنّه : السقاء البالي .

[2] الرنّه : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .

(و) وهذا خبيب بن عدي الأنصاري يقدّم للقتل فيطلب إلى جلاديه أن يمنحوه فرصة يناجي ربّه ويقول لهم : دعوني أصلي ركعتين .

وبعد أن انتهى من صلاته انصرف إليهم وقال : لولا أن تروا أن ما بي من جَزَع من الموت لزدت (أي في الصلاة) .

فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل .

ولما رفعوه على الخشبة لقتله قال : " اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بَدَدا ، ولا تبقي منهم أحدًا " ، ثم أنشد يقول :

ولستُ أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنب كان في اللّه مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزّع
ولستُ بمُبْدٍ للعدو تخشعًا ولا جَزَعًا إني إلى اللّه مرجعي

وما زالوا يضربونه بالسيوف ، ويرشقونه بالسهام حتى استشهد رضي اللّه عنه .

(ز) وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا غزا ، فلما توجه عليه الصلاة والسلام إلى أُحُد أراد أن يتوجه معه، فقال له بنوه : إن اللّه قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع اللّه عنك الجهاد ، فأتى عمرو بن الجموح رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول اللّه إنّ بَنِيّ يمنعوني أن أخرج معك ، وواللّه إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " أما أنت فقد وضع اللّه عنك الجهاد " وقال لبنيه " وما عليكم أن تَدَعوه لعل اللّه عز وجل أن يرزقه الشهادة " فخرج مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقُتل يوم أُحُد شهيدًا ! .

ومن روائع الصبر والمصابرة والاستهانة بالحياة :

أن الواحد من هؤلاء المجاهدين الأبطال إذا سقط في ميادين الجهاد شهيدًا قال : "وعجلتُ إليك ربي لترضى " .

– وكان آخر يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه

وكان ثالث يقول وهويغالب روحه في ساحة الشرف :

" هذا هو يوم الفرح الأكبر "

– وكان رابع يقول وهو في ساحة الإعدام والأعداء محيطون به من كل جانب :

ولست أبالي حين أقتَل مسلمًا على أيّ جَنْبٍ كان في اللّه مصرعي

– وكان خامس يقول وهو يسلم الرّوح إلى بارئها : " يا سعد الجنّة وربّ النّضر أجد ريحها من وراء أُحد " .

لقد بعث الإيمان باللّه واليوم الآخر ، والتحقّق بالصبر والمصابرة في قلوب الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان . . بعث فيهم شجاعة خارقة ، وإقدامًا منقطع النظير . . فكل همّهم أن يُستَشهَدُوا في ساحات الشرف ، وأن يحظوا بالجّنة كأنهم يرونها رأي عين ، فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل مسرعين متشوّقين لا يلوون على شيء ، وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشتُه القلوب . .

ولا يخفى عليكم – أيها الإخوة – ما في ظاهرة الصبر والمصابرة ، والشوق إلى الشهادة والجنّة . . من ثمرات مرجوّة في بناء العزّة الإسلامية ، وإقامة المجد للمسلمين ! ! .

ويوم يفهم شباب الإسلام هذه الحقيقة ، ويوم يسيرون في هذا الطريق . . فليستبشروا بالنصر ، وليتفاءلوا أن اللّه سبحانه أخرجهم للدنيا دعاة حق ، ومبعث نهضة ، ومشعل هداية، وبناة حضارة ، وأئمة سلام . .

﴿ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

والذي أخلص إليه – أيها الشباب – بعد ما تقدم :

أن عامل التكوين للإنسان في إصلاح غيره أمران :

١ – توطين النفس الإنسانية على الجهر بالحق .

٢ – تعويد هذه النفس على التخلّق بالصبر والمصابرة .

وإن شئتم فقولوا : العامل في تكوين الإنسان في إصلاح غيره كلمتان : **مجاهدة ، ومصابرة** فهما في الحقيقة الطريق إلى الجنة من أجل تحقيق النصر ، وبناء عزة الإسلام والمسلمين . .

وصدق اللّه العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

﴿ **فاستجاب لهم ربّهم أني لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتَلُوا وقُتلوا لأُكفرنّ عنهم سيآتهم ولأدخلنّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابًا من عند الله . . والله عنده حسن الثواب** ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

– ١٠ –

وبعد :

فحدثوني بربّكم أيها الحفل الكريم :

هل الملحد الذي لايؤمن بإله ولا يعتقد بدين سماوي يكون ذا شخصية ؟

هل المعرض عن منهج اللّه وتعاليم السماء يكون ذا شخصية ؟

هل المتقوقع على نفسه والمنهزم من ميادين الدعوة والجهاد يكون ذا شخصية ؟

هل الذي يسيل لعابه للرشوة والمال الحرام . . يكون ذا شخصية ؟

هل الذي يتقلّب في أحضان المومسات ، ويجلس على موائد الشراب يكون ذا شخصية ؟

هل الذي يصالح اليهود ويبيع فلسطين . . يكون ذا شخصية ؟

هل الذي ينهزم أمام ضربات الأعداء في ميادين الشرف والشهادة يكون ذا شخصية؟

إذا كان الجواب : لا .

فمن هو إذن صاحب الشخصية ؟

– صاحب الشخصية مَنْ يمشي مع فطرته السليمة وعقله الرشيد في اعتناق العقيدة الربانية الراسخة . .

– صاحب الشخصية من يلتزم منهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

– صاحب الشخصية من يصدع بالحق ولا يخشى في اللّه لومة لائم . .

– صاحب الشخصية من يترفَّع عن سفاسف الأمور ويستعلي على رعونات الحياة . .

– صاحب الشخصية من يصبر على مصائب الأيام ويغالب أحداثها ، ويبتسم لمصاعبها . .

– صاحب الشخصية هو الذي يسعى إلى عزّة سامقة ، ومجد مؤثّل . .

– صاحب الشخصية هو الذي يضع بين عينيه إحدى الحسنيين : إما النصر وإما الشهادة .

وباختصار أقول أيها الشباب :

إن عناصر التكوين للشخصية الإنسانية في نظر الإسلام أربعة :

الأول : عنصر العقيدة الربانية .

الثاني : عنصر الالتزام لشريعة اللّه .

الثالث : عنصر المجاهدة بالحق .

الرابع : عنصر الصبر والمصابرة .

فبهذه العناصر الأربعة تكتمل الشخصية الإنسانية وتتوازن .

وبها يعمل الإنسان لنفسه ، ويعمل لغيره .

وبها يعمل لدنياه ، ويعمل لآخرته .

وبها يندفع الإنسان نحو غاية ، ويؤدي ما عليه من رسالة .

وبها يسير في الحياة على هدى وصراط مستقيم .

وبها يحقق الخير للإنسانية جمعاء .

وبها يلقى اللّه عز وجل وهو عنه راضٍ يوم القيامة في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا .

ومن أجل هذه المعاني كان الرجلان من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرّقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلّم أحدهما على الآخر . . لقد كانا يتعاهدان على هذا الدستور الإلهي ، ويتعاهدان على الإيمان والعمل الصالح ، ويتعاهدان على التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ويتعاهدان على أنهما حارسان لهذه الشريعة ، ويتعاهدان على أنهما من هذه الأمة القائمة على هذا الدين . .

ورحم اللّه الإمام الشافعي كم كان عميق الفهم ودقيق النظر حين قال :

" **ولو لم ينزل من القرآن غير سورة العصر لكفت الناس** " .

وفي الختام أسأل المولى سبحانه أن يلهم شبابنا في أن يكوّنوا شخصيتهم على أساس الإسلام ، وأن يتحققوا بسورة العصر منهجًا وتطبيقًا . . . عسى أن تكتمل شخصيتهم، ويؤدّوا رسالتهم ، ويبنوا في القرن العشرين دولة الإسلام ، وعزة المسلمين . . وما ذلك على اللّه بعزيز ، إنه بالإجابة جدير وأكرم مسؤول .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته